

المصطلح الغربي المترجم ومعضلة المعنى: الانزياح في الأسلوبية والبلاغة أنموذجا

**The translated Western term and the problem of meaning: the gap in
stylistic and rhetoric as a model**

د. عبد الله كروم

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة أحمد دراية - أدرار -

ملخص:

يعالج هذا البحث قضية المصطلح المترجم إلى العربية ومعضلات النقل، خصوصا على مستوى ترجمة معناه والتحويلات التي تطرأ عليه عندما يتحول من ثقافة إلى ثقافة، ومن حضارة إلى أخرى، وأيضا ما يحدث من التباين بين المترجمين بالنظر لاختلاف المنطلقات الثقافية للنخب (فرنسية - عربية - روسية)، وكذا اختلاف مستويات الفهم وأدوات التلقي/ النقل، وصياغة المصطلح في ظل لغة عربية تعاني من التضخم الدلالي وتوظيف الترادف. **الكلمات المفتاحية:** المصطلح، الترجمة، علم المصطلح، صناعة المصطلح، المعنى، الانزياح، الأسلوبية، البلاغة

:Abstract

This research deals with the issue of the term translated into Arabic and the problems of transport, especially on the level of translation of its meaning, and the changes it takes when the changes should be doing from culture to culture, and from civilization to other, As well as different levels of understanding and receptive tools / transfer, and the formulation of the term in the Arabic language which suffers from semantic inflation and tandem

Kay words: Term, Translation, Terminology, Manufacturing Term, Meaning, Displacement, Stylistic, Rhetoric

مقدمة

إن المصطلح يكتنز حمولة ثقافية تحتويه، وتشكل فحواه وبنيته الدلالية وأجهزته المفاهيمية وخرائطه الإستيمولوجية وبؤره النووية؛ بوصفه المرآة العاكسة للحضارة التي ترعرع فيها، والأرضية المعرفية التي وفرت له حضانة المنشأ؛ لذلك لا يمكن فصله عن منبته وجذوره الأولى.

ولأن المصطلح مفتاح العلوم وعصارة المعرفة الإنسانية فقد أفرز تلقيه من لغة أخرى جملة من المشكلات اللغوية خاصة عند وضعه، بوصفه الحامل لمفهوم مهاجر من ثقافة إلى ثقافة، ومن حضارة إلى حضارة، ومن مرحلة إلى مرحلة، ومن بين المشكلات ما يحدثه

المضمون الإشعاعي عند ترجمته من تزاخم المعاني وتوارد المقابلات المقربة لمفهومه لدى الأمم المستهلكة للمعرفة، بالنظر للإرث الإنساني والتطور الحلقي الحلزوني لها من جهة، وبتفاوت التلقي و الأسس التكوينية من جهة أخرى.

والحال كهذه يتعين عل المترجم أن يفهم السياق الاجتماعي والثقافي للمصطلح وارتحاله بين الأمم والثقافات قبل أن يتموضع ضمن منظومة الآخر المختلفة لغة وفكرا وانتماء.

لأجل ذلك يواجه المصطلح المترجم للعربية معضلات كبيرة، لاسيما على مستوى ترجمة معناه ومفهومه للمتلقي العربي في موقع الاستقبال السلبي، وأيضا نظرا لاختلاف المداخل الثقافية للنخب العربية (فرنسية - عربية - روسية)، وكذا اختلاف مستويات الإدراك وآليات الترجمة وصياغة المصطلح في لغة تعاني من تضخم المعجم ومشكلة التقارب الدلالي أو ما يعرف بالترادف.

أولاً: المصطلح والترجمة مفاهيم ومصطلحات

1- المصطلح:

تنحدر كلمة مصطلح في جذرها اللغوي من مادة "صلح" و "الصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحو واصلحوا وتصالحو، واصلحوا" (1).

وقد تتبع الأستاذ يوسف وغليسي الكلمة في مظانها عبر مختلف المعاجم العربية، فما وجدها تخرج عن مفاهيم السلم والمصالحة والاتفاق والتعاون والمواضعة وكل ما هو نقيض للفساد والخلاف (2)

والمصطلح مصدر ميمي من (اصطلاح) نقل إلى الاسمية ليصبح متخصصا في هذا المدلول الجديد، وقد تواطأ اللغويون العرب المعاصرون على توظيف كلمة (مصطلح) فذاعت في أعمالهم ومصنفاتهم.

" المصطلح أو الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" (3).

وهو عند القاضي علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 861هـ) محدد بمفهوم: «الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما» (4).

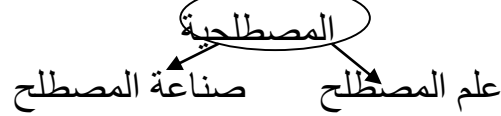
أما المصطلح عند الغربيين فهو " كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو تقنية يوجد موروثا أو مفترضا للتعبير عن المفاهيم، ليبدل على أشياء مادية محدد" (5).

وللمصطلح أركان ثلاثة هي: اللفظية، ونقل المعنى، والاتفاق، فما لم يتم الاتفاق بين الجماعة المعنية بالمصطلح يُعدّ خرقا للسلامة والعقد الاصطلاحي.

2- علم المصطلح: تفرق الدراسات الغربية بين نوعين مهمين في المصطلحية، الأول هو علم المصطلح (Science de la Terminologie)، والثاني هو الوصيف والنتاج عن الأول ويدعى صناعة المصطلح (Terminographie).

يتحدد علم المصطلح بوصفه: «العلم الذي يبحث عن العلاقات بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية» (6).

أما صناعة المصطلح فهو: «العمل الذي ينصب على توثيق المصطلحات وتوثيق مصادرها والمعلومات المتعلقة بها، ونشرها في شكل معجم متخصص إلكتروني أو ورقي»⁽⁷⁾.
يكون علم المصطلح وصناعة المصطلح مفهوم المصطلحية وفق الخطاطة التالية:



3- الترجمة: تعتبر الترجمة وسيطاً بين الثقافات، ووسيلة من وسائل حوار الحضارات، إذ أنه نشاط مهم في اغتناء وتفاعل الأفكار بين الأمم قديماً وحديثاً، وترجع الترجمة في دلالاتها اللغوية لمعان كثيرة منها⁽⁸⁾:

- ✓ التبيين والتوضيح
- ✓ التفسير
- ✓ حياة الإنسان وسيرته
- ✓ النقل من لغة لأخرى
- ✓ الرمي بالحجارة
- ✓ تؤدي معنى البديل (النحو)

والمعنى الرابع هو المعول عليه في مداخلتنا، حيث اختلف القدامى في وزنها ومصدرها وأصالتها ومعانيها اللغوية⁽⁹⁾، لكنها تعني إجمالاً اليوم وبما هو دارج في مفهومها المتداول والشائع، أنها نقل الكلام من لغة أم إلى لغة هدف، سواء أكان المنقول مفردات أم نصوصاً. أما مفهومها في الاصطلاح فيعني: «التعبير بلغة ثانية عن المعاني التي تم التعبير عنها بلغة أولى، أي نقل المعاني من لغة الانطلاق (اللغة المصدر أو الأصل) إلى لغة الوصول (اللغة الهدف)»⁽¹⁰⁾.

ويعرفها الأستاذ ممدوح خسارة أنها: «إعطاء الكلمة الأجنبية – وهي في الغالب مصطلح علمي- مقابلها العربي الموضوع من قبل»⁽¹¹⁾.

وهذا تعريف يجعلها مع المصطلح بمعنى واحد، ويبرز تداخل الترجمة والمصطلح لدى الأستاذ خسارة، لكن التعريف الأول فيه نوع من الإحاطة والمناعة بالمفهوم رغم احتوائه لنوع واحد من أنواع الترجمة.

ثانياً: المعنى بين المصطلحي والمترجم:

إن الترجمة بوصفها فناً تستدعي فطنة المترجم وحدة ذكائه في تخير المعنى وإصابته، بالنظر لتمكنه من اللغتين الحاملة والمحمول إليها، وإطلاعه الواسع على ثقافتهما، وإحاطته بموضوع النص المترجم.

وحسب الأستاذ علي القاسمي فإن عملية استقبال الرسالة (المعنى) التي ينجزها المترجم، تتم عن طريق ثلاثة مستويات⁽¹²⁾:

أ- الإدراك: ويحدد بواسطة مرجعية المترجم الثقافية والمعرفية، ومدى استيعابه للغتين معاً نطقاً وكتابةً وتذوقاً.

ب-التفكيك: حيث يقوم المترجم بتوظيف آليات لسانية، شكلية، دلالية، لنقل النص إلى مفاهيم ومعانٍ من لغة أصلية إلى لغة أخرى.

ج-الفهم: وهذا يتطلب جميع عناصر ومكونات النص بعد تفكيكه، ثم إعادة إنتاجه وبناءه لفهم معناه ومضمونه.

ومما لا يخفى على الباحثين أن كلا من المصطلحي والمترجم يشغلان على تحويل النصوص من لغة "أ" إلى لغة "ب"، أي أن كل واحد منهما ينقل تلك المادة، بعد أن يفهم المعنى المقصود وينقله بدقة ومصادقية، وقد يظهر للوهلة الأولى أن الوظيفتين متطابقتان، غير أنهما ليستا كذلك بعد إمعان النظر فيهما.

حيث أن المصطلحي لا يكتفي بوضع المصطلحات ونقلها من لغة لأخرى فقط، وإنما له وظيفتان أخريان هما(13):

الأولى: توليد المصطلحات من داخل اللغة ذاتها دون الاعتماد على لغة أخرى، بل يتأسس المفهوم المراد التعبير عنه بمصطلح لغوي جديد.

الأخرى: توحيد المصطلحات الموجودة في اللغة، بحيث يعبر المصطلح الواحد عن مفهوم واحد، ويعبر عن المفهوم الواحد بمصطلح واحد، في الحقل العلمي الواحد.

ومن جهة أخرى نجد أن المترجم غالبا ما يشغل على نص كامل، بينما المصطلحي يشغل على المصطلح الواحد، سواء أكان بسيطا أو مركبا، ونادرا ما ينقطع لنص كامل، إلا إذا كان يسعى لدراسة طبيعة حقل معرفي من حيث البنيات والأساليب أو الوقوف على السياقات التي يندرج ضمنها المصطلح. (14)

وعلى المصطلحي والمترجم في معركة البحث عن المعنى ومضمون الكلام الابتعاد عن الترجمة الحرفية التي تفسد المعنى، وتبعده عن سياقاته الاجتماعية والثقافية، مما قد يجعل المتلقي في حالة من اللا تواصل، ويقع في ارتباك تحديد المعنى والمفهوم المنقول من لغة أخرى، ومن الأمثلة على تلك الترجمات الحرفية المضیعة للمعنى ما يلي: (15)

المصطلح	الترجمة الحرفية	الترجمة بالمعنى
Vaisseau	الأوعية الدموية	عرق
Cadre	إطار	الملاك
Pneumatique	رئوية	هوائية
Conférence	المقارنة أو الموازنة	مؤتمر

أغر	معلم في رأسه (الفرس)	Marqué en tête
-----	-------------------------	----------------

وأكثر ما تثار مشكلة الترجمة الحرفية حينما تتم ترجمة عبارات، ومن هذا القبيل الخلاف حول ترجمة العبارة (laissez-faire) فقد ترجمها بعضهم (دعه يعمل)، كما ترجمت لعبارات مختلفة منها⁽¹⁶⁾، سياسة عدم التدخل، وسياسة الترك، والاقتصاد المرسل، وحرية العمل، والحرية الاقتصادية، بل هناك من ترجمها بمسحة شاعرية (دع المقادير تجري في أعنتها).

ونؤكد في كل الأحوال لضرورة مراعاة السياق وإصابة المعنى وتحديد الدلالة المناسبة التي تجعل ما ينقل أو يوضع صحيحاً لا يؤدي إلى ضبابية أو غموض أو ارتباك في المعنى. ومن بين أكبر العوائق التي تواجه المترجم والمصطلحي قضية السوابق واللواحق وعلاقتها بالجذر والمعنى، حيث أننا لا نكاد نجد في الترجمات العربية المتباينة والمتناقضة أحياناً طريقة موحدة تساعد على التخلص النهائي من أي اجتهادات فردية تقوي الاختلاف حول المعنى أكثر مما تسهم في بلورة المفهوم وتحديد معالمه الدلالية.

ولنقف عند مصطلح آخر تمت ترجمته دون الرجوع إلى الجذر المباشر، ودون المعرفة بأصوله الأولى مثلما كان يفعل جيرار جينت، إليكم مصطلح (Décodage) وبعض الترجمات المتلقية له في العالم العربي، والتي عثر عليها الأستاذ السعيد بوطاجين⁽¹⁷⁾:

المصطلح	الترجمة	عنوان الكتاب	الصفحة
Décodage	فك الرموز، توضيح	المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات	36
	تحليل، فهم	البنوية في اللسانيات	373
	فك الرموز	معجم اللسانية	53
	حل الشفرة	المصطلحات الأدبية الحديثة	15
	تفكيك	قاموس اللسانيات	230
	تفكيك	الأسلوب والأسلوبية	212
	فك الرموز حل الشفرة	المنهل	293

كل هذه المصطلحات كان يمكن تجنبها بأمرين اثنين هما: النحت المباشر من الجذر تماماً كما حدث مع مصطلح (Intertextualité)، والذي ترجم بأشكال متباينة: ما بين النصوية، البينصية، البينصوية، التداخل النصي، ثم تم الاستقرار على مصطلح

التناص، والأمر الآخر يمكننا الاكتفاء بمصطلح إحيائي وظفه أبوحيان التوحيدي، وهو (المقابسة).

ثالثاً: الانزياح في الدراسات الغربية

أ- الانزياح بوصفه دلالة معجمية:

من المفاهيم التي اختلف فيها الغربيون كثيراً مفهوم الانزياح، إذ عبروا عنه بمصطلحات كثيرة وصلت إلى حدود العشرين ومنها(18):

(Transgression, Abus , Distorsion, Incorection Violation, Infraction, Subversion, Altération , Aberration, Déformation, Scandale,etc)

وهذا الكم من المفردات المقاربة دلالياً لمفهوم الانزياح، سيكون توطئة مبررة لتوالد وتضخم المصطلحات المترجمة له باللغة العربية.

وعلى الرغم من استكثار الغربيين من المصطلحات المتداخلة مع الانزياح إلا أنهم يكادون يتفقون على كلمتين اثنتين هما (Ecart , Déviation)، نجدهما في المتن التداولي للدرس الغربي الحديث، والكلمتان متوفرتان في المعجم الفرنسي، بينما تشترك معها الانجليزية في المفردة الأولى.

عرفت اللغة الفرنسية الكلمة الاسمية (Ecart) في القرن 12م، وفعلها (Ecarter) في القرن 13م، وهو من الجذر اللاتيني للكلمة العامية (Exquartare) وتعني الفسخ أو التقطيع أو القسمة على أربع أو المتفرع إلى أربع اتجاهات، أو تلك المسافة الفاصلة بين الأشياء(19).

إن مصطلح الانزياح في التوظيفات الغربية تم فصله في وحدات لغوية مختلفة، وذلك ما سبب اضطراباً في مفهومه وحدوده، يقول الدكتور صلاح فضل «من الطريف أن يلاحظ أن بعض النقاد الغربيين أيضاً تعددت الكلمات التي تشير على نفس هذا الإجراء، بدءاً من (بول فاليري) الذي يفضل كلمة يمكن ترجمتها بأنها تجاوز، و(بالي) الذي استخدم كلمة خطأ في المعنى ذاته، كما أن سببترز الأسلوبى الألماني هو الذي فصل كلمة انحراف ووظفها إلى أقصى مدى، وأثر (تيري) كلمة أخرى هي كسر، واستخدام (جون كوهن) ما يقابل في العربية الانتهاك (بارت) يجعلها فضيحة، و(تودوروف) يصل بها إلى شذوذ، و(أرجوان) يبلغ أقصى مدى عند ما يجعلها جنوناً»(20).

وهذا التعدد في الحدود الاصطلاحية الغربية ألقى بظلاله على مستوى المفهوم والمعنى للكلمة، فكيف فهم هذا المصطلح في الدرس الغربي الحديث ؟

ب- الانزياح بوصفه دلالة اصطلاحية:

يرى بعض الدارسين أن المفهوم الأسلوبى (الانزياح) هو مصطلح يعزى للنقاد الفرنسي (ليوسببترز)، أطلقه عند توقيفه في قراءاته للروايات الفرنسية الحديثة، خاصة عند تلك الأساليب والتعبيرات التي تفردت بأشكال تنأى عن التوظيف العامي للغة.

في معجم السيمياء لغريماس وكورتاس تحدد هذا المفهوم بوصفه واحداً من التصورات الأساسية للأسلوبية، ولكونه نتيجة من نتائج الثورة الألسنية بعد فرديناند دوسوسير، التي فصلت في ثنائيات متقاربة بين اللغة والكلام، حيث أن الكلام هو " مجموعة الانزياحات الفردية التي يستعملها موظفو اللغة" (21).

يؤكد معجم جون ديبوا على أن الانزياح هو عبارة عن حدث أسلوبية له قيمة وجمالية، يصدر عن قرارات للذات المتكلمة بواسطة فعل كلامي يظهر فيه مستوى الخرق (Transgressant) لقاعدة ضمن معايير الاستعمال، هي المعيار (Norme) تحديداً، الذي يمثل اللغة الاعتيادية العامة، والمشاركة بين الناطقين بها. (22)

أما (سابورتا) فإنه يميز بين انزياحات لما صفته الإيجابية، وهي عبارة عن الملامح والصور الأدبية التي نحتوي على مخزون تكميلي، مثل القافية أو الجنس، وانزياحات أخرى ذات صفات سلبية، تلك التي تتشكل في معايير نخرق القواعد النحوية و الصرفية. (23)

بمعنى أن الانزياح الإيجابي حسبه ليس خروجاً عن النسق المتعارف عليه في لغة ما، لكنه يقوم بدور ثانوي، بينما يؤدي السلبي منه القفز على اعتيادات اللغة وقوانينها الصارمة، يفرق (ليفين) بين الانزياح الخارجي والانزياح الداخلي، ويحدد الأول بكل ما ينسب إلى البنية اللغوية السائدة في نص ما، أما الثاني فيتحدد بوصفه ما لم يتم إدراكه في بنية النص بل ما تحدده مرجعية اللغة.

الانزياح عند (جون كوهن) نوعان سماهما المجاوزة بالزيادة، والمجاوزة بالنقصان، أما الأول فهو الذي يمكن أن نطلق عليه التضخم النصي أو الإطناب، ويتواتر في اللغة الشعرية (24). أما المجاوزة بالنقصان فهي حالات التكتيف والحذف، وما يمكن أن يدخل ضمن الاقتصاد اللغوي.

أما جاكبسون فإنه يحدد الانزياح بنوعين أحدهما تركيبية والآخر استبدالي، الأول وهو كسر النمط الاعتيادي للجملة بخرق قواعد الرصف والتركيب كالخروج عن قواعد الاختيار للرموز اللغوية، كجمع المفرد، وإحلال المضاف إليه مكان المضاف، وكسر المؤلف بالغريب الموحش. يعوض (ريفاتير) مفهوم (المعيار) بمعيار آخر هو (السياق) (Contexte)، حيث أن سياق الأسلوب هو نموذج لساني مقطوع بواسطة عنصر غير متوقع و التناقص الناتج من هذا التشابك هو المؤشر الأسلوبي، لأن السياق يرتج من الناحية الأسلوبية بواسطة عنصر المفاجأة الذي يقطع السياق ويخربط المعنى (25).

أراد (ميشال ريفاتير) في كتابه " معايير التحليل الأسلوبي " التخلص من المشكلات التي تعترض توظيف المعيار كعامل محدد للظاهرة، لوجود خلاف حول النموذج المعياري، فما كان منه إلا أن استبدل المعيار بالسياق، مؤكداً أن لغة الأدب بأحداثها الأسلوبية تعمل على خلق سياقات خاصة بمعايير ظرفية وكسرها في ذات الوقت (26)، ومن ثم يصبح السياق قاعدة لقياس الانزياح.

جاء بعد (ريفاتير) كتاب (البلاغة والأسلوبية) لصاحبة (هنريش بليث)، وبدأ من حيث انتهى الأول في أسلوبيته السياقية، حيث وجّه الانزياح وجهة تداولية تحدد الأسلوب علمستوى (الكلام) لا على مستوى اللغة متجاوزاً أسلوبية الانزياح على المعيار التي أهملت القارئ والكاتب معاً⁽²⁷⁾.

ج- أنواع الانزياح:

استعار (بليث) من (مورييس) نموذج السيميائي في تصنيف الانزياحات فجعلها:

- انزياح في التركيب (العلاقة بين العلامات).
- الانزياح في التداول (العلاقة بين العلامة والمرسل والمتلقي).
- انزياح في الدلالة (العلاقة بين العلامة والواقع).

ومن أنواع الانزياح التي وقف عندها (كوهن) واهتم بها ما سماه (اللاتوازي)، ويقصد به عدم التناسب بين البنية الصوتية التي تحدد في لازمة نهاية البيت الشعري كما العادة، والبنية الدلالية، إذ أن نهاية المعنى لا تكون متوافقة مع نهاية البحر، أو التركيب الشعري وهو يرى أن هذا النوع « يلعب دوراً مساعداً في خدمة البحر والقافية وفي بعض الحالات يقوم بدور إلقاء الضوء على كلمة.. ومعارضة التقسيم العروضي بالتقسيم التركيبي، وانتهاك مبدأ الموازنة من خلال ذلك »⁽²⁸⁾.

رابعاً: الانزياح في الدراسات العربية

1- الانزياح وحدود المفهوم اللغوي:

ورد في لسان العرب عند باب " نرح" ما نصه " نَرَحَ الشيء ينرح نرحاً ونزوحاً: بَعْدَ، وشيء نُزِحٌ ونُزُوح نازح، أنشد ثعلب:
إن المذلة منزل نُرح *** عن دار قومك، فاترك شتمي
ونزحت الدار فهي تنرح نزوحاً إذا بعدت وقوم منازيح (...).

ونرح البئر ينرحها وينرحها نرحاً وأنرحها إذا استقى ما فيها حتى ينفد، وقيل: حتى يقل ماؤها، ونزحت البئر ونكرت تنرح نرحاً ونزوحاً فهي نازح ونُزُوح، ونُزُوح، نقذ ماؤها، قال الليث: والصواب عندنا نزحت البئر إذا استقى ماؤها وفي الحديث: انه نرح الحديبية وهي نرح ونزحتها لازم ومتعد، ومنه حديث ابن المسيب قال لقتادة: ارحل عني فلقد نزحتني أي أنفدت ما عندي وفي رواية نزفتني"⁽²⁹⁾.

وبالرجوع لمعجم معاصر نلمس أيضاً تلك الانزياحات المعنوية والتطور الدلالي الذي طرأ على الكلمة، لجأت لمعجم معاصر هو " الرائد " لصاحبه جبران مسعود، وقد تجلّى ذاك الانزياح الدلالي للكلمة ليبدل على معان مختلفة " نَرَحَ وَيَنزُحُ نَزْحاً نُزُوحاً 1 بَعْدَ (نرح القوم، نزحت الدار)، 2 - ت البئر: قل ماؤها أو نفذ، 3- الماء: نفذ، 4- البئر: استخرج ماءها حتى قل أو نفذ5- القوم: قلت مياه آبارهم، أو نفذت.

نُرح به: غاب عن بلاده غيبة بعيدة.

نَرَحُ: ج أنزاح أ- ماء كدر ب- بئر قل ماؤها أو نفذ"⁽³⁰⁾

ومن خلال ما سبق يتضح لنا التطور الدلالي للكلمة والانزياحات المفاهيمية الناتجة من كل توظيف اجتماعي وثقافي يختلف من عصر إلى عصر، ومن ثقافة إلى ثقافة، ومن حضارة إلى أخرى.

2- الانزياح عند اللغويين والبلاغيين العرب القدامى:

إذا كان مصطلح الانزياح شائعاً في الدراسات الحديثة فإن مفهومه بوصفه مصطلحاً متداولاً ورد في عدة معارف كعلم الدلالة، والبلاغة، وعلم المعاني، والنحو والصرف، مما يدل أن المصطلح ليس مستحدثاً، ويكون قد تواتر بشكل أو بآخر في حقول معرفية مختلفة وسابقة، رغم ما يعتري المفهوم في التراث من دلالة رجراجة.

لقد تطرق إلى مفهوم الانزياح عدد من البلاغيين واللغويين العرب كل من ابن جني في كتابه الخصائص، كما بحثه ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة، أما ابن الأثير فستعمل مصطلح العدول للتدليل على الانتقال من صيغة لفظية إلى أخرى (31).

ظاهرة الانزياح متوفرة في كتاب النحو الأول، عند سيبويه حينما أكد على حدوث الانزياح اللغوي كمنطق أساسي لحدوث الانزياح الدلالي، سابقاً بذلك بعض المحدثين عندما أكد على تراتبية الكلمات وهندستها كشرط أساسي في الفهم والإفهام، وإن لكل لغة نظاماً معيناً لا يمكن الخروج عليه أو الإضرار به، حيث أن الانزياح يتجسد من خلال الاعتداءات التركيبية التي تقع على الاعتيادات اللغوية الكامنة فيها (32)، ومن بينها: التقديم والتأخير، واللف والنشر، والحذف، والتقدير.. ويؤكد سيبويه في كتابه على أن خرق التركيب يُسلم إلى معنى مختلف ويكسر خطية المعنى، يقول لخوش جار الله حسين محدداً مفهوم الانزياح عند سيبويه «أنه كلما تصرف مستعمل اللغة في هياكل دلالتها أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المؤلف انتقل كلامه من السمة الإخبارية إلى السمة الإنشائية» (33). فهو يعتبر الخروج عن المؤلف انتقالاً نحو الإبداع واللغة الشعرية.

لقد تعددت الاختصاصات التي تطرقت للانزياح وكثرت مصطلحاته والمواقف منه، غير أن هذه الظاهرة اللغوية وقف عندها البلاغيون العرب واعترفوا بوجودها وأثرها الفني والجمالي ويمكن التأكيد إن البلاغة العربية ابنت أهم علومها ومباحثها على فكرتي الانزياح والتناسب، فعلم المعاني يتأسس على العادات التي تطرأ على النظام التركيبي، بينما يقوم علم البيان على الانزياح الدلالي بواسطة توظيف الصورة بأبعادها المختلفة (34).

ويزخر التراث البلاغي ببوادر التفكير الانزياحي وضرورة وجوده، ولاسيما في العملية الإبداعية، وهو أمر يتجلى في مظاهر شتى من الصوت حتى الدلالة مروراً بالتركيب. من أمثلة الانزياح الصوتي ما سماه ابن جني التحريف، إذ يُزاد في الكلمة أو يُنقص منها كقول الشاعر:

وما دمية من دمي ميسنا ن معجبة نظر أو اتصافا

"أراد ميسان فزاد فيها نونا فقال ميسنان" (35)، وهو كثير عنده فيما سماه التقلبيات الست على الكلمة الواحدة، وضمن الباب الذي سماه شجاعة العربية أيضاً، وكذا باب ما سماه الحمل على المعنى. وقد يحدث الانزياح بمخالفة التقاليد وبعض الأشكال التي رسخت في الأدب والشعر؛ لأن هذه الأشكال التعبيرية يذهب بريقها مع الزمن، ويصبح التمسك بأنماطها وصورها

وأنسجتها رتابة تمحي صفة الإبداع، وتتطلب التجديد والتطور، وهو ما يعكس التغير الطارئ على الأنواق والقناعات في الحياة، ومن هذه الزاوية برر بعض النقاد عدول بعض الشعراء عن عمود الشعر والقصيدة القديمة، ومحاولات الشعراء المولدين كسر تقاليد البناء المعماري لقصيدة الشعر الجاهلي، وعُدَّ ذلك انزياحا واستجابة لتطور الذوق والمجتمع⁽³⁶⁾.

ومن الصور الرائعة التي تدل على التفكير النقدي حول الانزياح في التراث البلاغي القديم ما قاله الجاحظ (ت255هـ): «الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أظرف، وكلما كان أظرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبعد»⁽³⁷⁾ ثم واصل قوله: "والناس موكلون بتعظيم الغريب واستظراف البديع". وبمثل هذه النصوص أشار البلاغيون القدامى إلى وعيهم بظاهرة الانزياح كظاهرة جمالية، ولازمة أدبية، وفق أرضيتهم المعرفية التي لم توفر لهم التقعيد والتنظير والصرامة المنهجية.

3- إشكالية ترجمة المصطلح ومفهومه:

يبدو أن كثرة الحدود المصطلحية القادمة من الغرب لمفهوم الانزياح كما أسلفنا قد انعكست على المصطلح الأسلوبي بمضاعفات استقبالية لا متناهية على مستوى المصطلحات النقدية العربية المعاصرة، والتي احتفت بالجوانب النظرية والتطبيقية بشيء من الحماسة الزائدة متجاوزة حدود اللياقة المنهجية للمنهج الأسلوبي، والمتهم بـ "الميوعة في تحديد المنهج وطبيعته وأساسه ووظائفه"⁽³⁸⁾.

والظاهر أن الدكتور عبدالسلام المسدي أول من أدخله للمتن اللغوي العربي المعاصر، وركز في نقله على المصطلح الفرنسي (L'écart)، مبرزاً صعوبة ترجمته لكونه غير ثابت حسب تصوره، مقراً بالترجمة الحرفية للانزياح، وترك المجال لكلمتين اثنتين: "على أن المفهوم يمكن أن نصطلح عليه بعبارة (التجاوز)، أو نحیی له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي عبارة أو كلمة (العدول)"⁽³⁹⁾ وتبدو الانطلاقة الأولى لمفهومية الانزياح متأرجحة بين ثلاثة مصطلحات تحدد مصطلحا فرنسيا واحدا هو (L'écart)، بينما هذا المفهوم يتجاذبه في العربية (الانزياح، التجاوز، العدول).

وليت الأمر وقف عند هذه المصطلحات الثلاثة، بل توالدت ملفوظات أخرى وتنامت كالفطريات تتحدد البدائل المصطلحية الأخرى، التي تزعم الإحاطة بالمعنى.

لئن اعتبر يوسف وغليسي أن الانزياح «أوفى دلالة وأوفر حظا من التداول والشيوع»⁽⁴⁰⁾، معتمدا على دراسة وصفها بالقيمة للأستاذ أحمد محمد ويس، فإن مواطنه السعيد بوطاجين لا يرى أن للمصطلح "من الناحية المفهومية اختلافات مؤثرة ما بين الانزياح، كما ورد في الأسلوبية، والعدول كما ورد في علوم النحو وعلوم البلاغة" ثم واصل إبعاده لمصطلح الانزياح غير المسوغ حسب رأيه، لكونه مستقلا صوتا، ثم انتصر للمصطلح الإحيائي قائلا: «ولذلك نرى أن مصطلح عدول أجمل وأدل، وأكثر اقتصادا من ناحية الحروف التي تشكله» وأضاف بحماسة غير معهودة عليه «فإن مستعملي الانزياح لم يقدموا أية

تبريرات لهذا الخيار الذي جاء شاردة لا مرجعية سببية لها، لا من الناحية اللغوية، ولا من الناحية المفهومية، ولا من الناحية الفلسفية، ولا من الناحية الإجرائية».(41)

وقد شاع مصطلح الانزياح عند مجموعة من الباحثين المعاصرين منهم: عبد الملك مرتاض، وحמיד لحميداني، ومحمد عزام، وحسين خمري، وجمهور الدارسين في بلاد المغرب العربي بالتحديد، ومن جهة أخرى انتشر مصطلح (الانحراف) في عموم النصوص النقدية المشرقية، ولاسيما المصرية، بحكم المرجعية الثقافية المتكئة على الانجليزية، ولذلك جعلوا الانحراف مقابلاً للمصطلح (Déviation) الذي يترادف في المعجم الفرنسي والإنجليزي مع كلمات أخرى (Différence , gap , Départure) تقابل الكلمة الفرنسية (Ecart). ويشيع مصطلح (الانحراف) عند شكري عياد وصالح فضل ومحمد عناني، وسعيد بحيري، وسعد مصلوح، وعزب محمد صاد.

أمام مصطلح (العدول) فيتوافر عند التهامي الراجي الهاشمي، وعبد الله حوله.... (42) استعمل بعض الباحثين مصطلحات أخرى ابتعدوا فيها عن هذه الثلاثية المشهورة، نذكر بعضهم اختصاراً. (43)

- محمد بنيس (البعد) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب

-شكري المبخوت ورجاء بن سلامة (البعد) الشعرية

التباعد يميني العبد ← الآداب

(الشذوذ) مجدي وهبة ← معجم مصطلحات الأدب

(الفجوة) محمد عناني ← المصطلحات الأدبية الحديثة

(التجاوز) المنصف عاشور ← التركيب عند ابن المقفع

(الاتساع) توفيق الزبيدي ← أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث

وقد يؤدي هذا الاختلاف في الترجمة، عند بعض الباحثين إلى الانتقال بين البدائل المصطلحية العربية في الوطن الواحد حيناً وفي المواطن المختلفة أحياناً أخرى، مثل أن يمزج عبدالمطلب بين (الانحراف) و (الانزياح)، وأن يقاطع المسدي بين (الانزياح) و (العدول) و (الانحراف) و (التجاوز) في مواضع من كتبه المختلفة.

وأكثرهم تساهلاً بسام بركة الذي جمع خمسة مقابلات عربية تحدد مصطلحاً واحداً فرنسياً (Ecart)، وهي (فجوة وابتعاد، انزياح، فارق " عدم التقيد بأصول اللغة ")، مما جعل الأستاذ يوسف و غليسي يعلق متعجباً قائلاً «يخيل إلى الرائي أنه أمام قاموس لغوي عادي (يشرح الكلمة الأجنبية والواحدة بكل ما أتيح له من مقابلات عربية تحيط بأطراف هذه الكلمة لا أمام معجم اللسانية».(45).

وعلى العموم فإن هذا المفهوم الأسلوبى الغربى، وما صاحبه من حدود اصطلاحية قد تلقت الدراسات العربية بـ " إسهال اصطلاحى حاد " حسب وصف الباحث يوسف و غليسي، بدد مفهومه العلمى، وأبعد دلالاته التداولية المولدة عن الاستعمال اللغوى الاجتماعى، وهو ما

أشار إليه المسدي وحسين خمري، وقلة من الباحثين حينما لاحظوا أن «معظم الباحثين انشغل بكيفيات ترجمة المصطلح على حساب نقل المفهوم»⁽⁴⁵⁾.

وإليك بعض البدائل المصطلحية لكلمتين فرنسيتين (Ecart Déviation) ⁽⁴⁶⁾:

(الانزياح، الإزاحة، الانحراف، التحريف، الفارق، الفرق، المفارقة، الاختلاف، الخرق، الاختراق، الفجوة، البعد، الابتعاد، التباعد، الفاصل، الشذوذ، النشاز، الفضيحة، الخروج، عدم التقيد، نقل المعنى، الاتساع، التباين، التضاد، الاختلال، الإطاحة، المخالفة، الخطأ، اللحن، اللحنة، الإخلال، الخلل، العدول، التجاوز، المجاوزة، الشناعة، الانتهاك، العصيان، الجنون، الحماقة، التناقض، التنافر، مزج الأضداد، الجسارة اللغوية، الغريب، الغرابة، الإغراب، التغريب، الابتكار، الخلق، الأصالة، الكسر، كسر البناء، الانكسار، انكسار النمط، التكسير، التدمير، التهديم، التشويه، التفجير، الاستطراد، الانحناء، الانزلاق، مسافة التوتر، اللاعقلانية اللغوية..)

والنهاية أكثر من سبعين مصطلحاً عربياً في مقابل مصطلح أجنبي واحد أو اثنين، هو كم هائل يدل على حالة مرضية في المصطلحية العربية، ولاشك أن الباحث يسجل أن ثلاثة أرباع تلك المصطلحات يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها محدودة القوة الاصطلاحية، وقليلة التداول في الخطاب اليومي، وعديمة الفاعلية والتأثير في تحديد المفاهيم أو هي مصطلحات متطفلة على حقل الدراسات الأدبية.

إن كلمات مثل (الشناعة، الحماقة، الفضيحة، الجنون، النشاز، العصيان...) هي ملفوظات تحيل على حقل دلالي ذي منحى سلبي من الناحية الأخلاقية، وبالتالي قد يكون بعيداً عن متواليات الخطاب الأدبي والمعرفي.

خاتمة

بعد هذا البحث المتواضع توصلت إلى جملة من النتائج التالية:

(1) إن تعدد مفاهيم ومصطلحات الانزياح في الدراسات الغربية ألقى بظلاله على تداعيات التلقي العربي بمزيد من التوالد والكثافة الاصطلاحية، رغم أنها استقرت في الغرب على كلمتين شائعتين، فإنها لدينا اطردت بشكل تناسلي مرعب.

(2) عرف الانزياح في التراث البلاغي القديم بأنواعه المختلفة، وعلى المستوى الصوتي والتركيبى والدلالي وتحت مسمى العدول،، غير أنه تداول في المدونة التراثية بوصفه أفكاراً وممارسات إجرائية بعيدة عن التقعيد والصرامة المنهجية.

(3) يمكننا الاستغناء عن كثرة المصطلحات وتوالدها عندما نتوافق على الآليات المنهجية في وضع المصطلح المترجم والأخذ بقواعد التنميط والتقييس التي نظر لها المصطلحيون العرب.

(4) إعطاء العناية الكبرى لقاعدتي الإحياء المناسب والنحت المباشر من الجذر اللغوي لسهولة الفهم ويسر التداول والبعد عن المصطلحات المركبة والغامضة والمتفكة مع خصوصيات اللغة العربية.

- (5) التوافق على إنجاز دراسات تأصيلية لمعرفة طبيعة المقابسات ولمياتها وإعادة المصطلح إلى جذوره اللغوية الأولى لمعرفة حفریات وانساق الانبناء الاصطلاحي.
- (6) إنكار قضية الترادف في اللغة العربية تنظيراً وتطبيقاً، فوجود الترادف مدخل كبير لإطلاق العنان للمترجمين والمصطلحين العرب ليوسعوا أفق المقابلات ببدائل اصطلاحية تضرب المعنى وتشوش المفهوم.
- (7) ضرورة عناية المترجمين والمصطلحين بعلم الدلالة وأجهزته المفاهيمية والتوسط بها لنقل المعنى وتدقيقه وإبراز آليات اكتشافه وفي مقدمتها السياقات الثقافية والاجتماعية واللغوية والحضارية.

هوامش الدراسة :

- (1) لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط1، 1997، ج1، ص60
- (2) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الجزائر: منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، 1429هـ/2008م، ص22
- (3) علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، ممدوح محمد خسارة، دمشق: دار الفكر، [د ط]، ص13
- (4) التعريفات، الشريف الجرجاني، تح: إبراهيم الأنباري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1998، ص44
- (5) علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات العربية، المصدر نفسه، ص14
- (6) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، علي القاسمي، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط2008، ص1، ص263
- (7) المرجع نفسه، ص264
- (8) علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات العربية، مرجع سابق، ص ص22، 23
- (9) تاج العروس، المرتضى الزبيدي، تح عبد الستار أحمد فراج وآخرون، الكويت: وزارة الإرشاد، [د ط]، [د ت]، ج8، ص211
- (10) الترجمة ضرورة حضارية، قطب الإسلام نعماني، أشتاغونغ: مجلة دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية، المجلد 3 (ديسمبر)، 2006م، ص80
- (11) علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات العربية، مرجع سابق، ص24
- (12) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مرجع سابق، ص ص297، 298
- (13) المرجع السابق، ص300
- (14) علم المصطلح..، علي القاسمي، مرجع سابق، ص300
- (15) علم المصطلح، ممدوح خسارة، مرجع سابق، ص ص40، 41
- (16) المرجع السابق، ص42
- (17) المرجع السابق، ص203.
- (18) إشكالية المصطلح، يوسف و غليسي، ص204.
- (19) المرجع نفسه، ص205
- (20) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1996 ص80.

- 21) Greimas (Agirdas Julien) et Courtes (Joseph), *Sémiotique Dictionnaire Raisonné de Théorie du langage*, Hachette livre, Paris, 1993 p 113 article (Ecart)
- 22) Dubois (Jean) E Autres: *Dictionnaire de linguistique*, librairie Larousse, Paris, 1973. P 172 (Ecart)
- (23) الأسلوبية والبلاغة العربية مقارنة جمالية، مسعود بودوخة، سطيف، الجزائر: بيت الحكمة، ط1، 2015م، ط1،
- (24) المرجع نفسه، ص52
- (25) إشكالية المصطلح، وغليسي، ص 207.
- (26) الأسلوبية والبلاغة العربية، مرجع سابق، ص 55.
- (27) إشكالية المصطلح ن وغليسي، ص 207.
- (28) الأسلوبية والبلاغة العربية، مرجع سابق، ص 52.
- (29) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، بيروت: دار صادر، ط4، 2005، ج13، ص ص: 231، 232.
- (30) الرائد (معجم ألفبائي)، جبران مسعود، بيروت: دار العلم للملايين، ط3، تموز/ يوليو 2005م، ص 888، مادة (نزع).
- (31) المصطلح والترجمة، السعيد بوطاجين، ص ص 133، 134
- (32) الانزياح الدلالي في الألفاظ العربية (معجم العين نموذجاً، مذكرة معدة لنيل شهادة الماستر، جامعة منتوري قسنطينة، إعداد الطالبتين: صونيا لوصيف سارة كرميس، إشراف يمينة بن مالك، ص 27
- (33) الانزياح الدلالي، المرجع السابق، ص ن
- (34) الأسلوبية والبلاغة العربية، مرجع سابق، ص 119.
- (35) الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت: (د ط) ج2، ص 437
- (36) الأسلوبية والبلاغة العربية، مرجع سابق، ص 126
- (37) البيان والتبيين، الجاحظ، تح: فوزي عطوي، دار الصعب، بيروت: 1968، ط1، 1/62
- (38) المصطلح والترجمة، مرجع سابق، ص 1135
- (39) الأسلوب والأسلوبية، عبدالسلام المسدي، تونس وليبيا: الدار العربية للكتاب، ط3، [دت]، ص 1162
- (40) إشكالية المصطلح، ص 210
- (41) المصطلح والترجمة، ص 134، 135
- (42) إشكالية المصطلح، ص 210، 211
- (43) المرجع نفسه، ص 211
- (44) إشكالية المصطلح، ص 213.
- (45) المرجع نفسه، ص 216
- (46) المرجع نفسه، ص 217